إله يعقوب

(طوبى لمن اله يعقوب معينه) (مزمور 146: 5)

(ثم قال أنا اله يعقوب) (خروج 3: 1)

القاها علامة الكتاب المقدس : دكتور أسكوفيلد

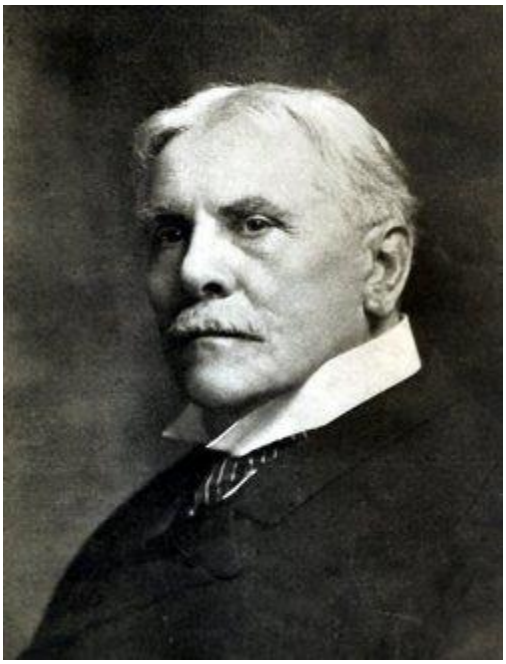

Cyrus Ingerson Scofield

(August 19, 1843 – July 24, 1921)

تعريب الأخ واصف عبد الملك

لنتأمل أولا في أهمية الحقيقة الهائلة أن الرب القدير يهوه يدعو نفسه اله يعقوب . ونحن نعلم من هو يعقوب، انه حفيد ابراهيم .يعقوب هو الرجل الممتلىء دهاء ، الذي لا هم له الا الحصول على مآربه بأحط الوسائل ، الرجل الدنيوي الماكر ، المتعقب ، الغادر، الذي نحس شعوراً دفينا نحوه بالتأنيب واللوم . ونحن بالغريزة نغض النظر عن الأخطاء والزلات الصادرة عن البواعث الكامنة في الطبائع . ولنا في انفسنا دليل لأننا محاطون بالضعف وكثيرا ما نسقط أمام قوة التجربة . لذلك ، حينما نسمع أن شخصا وقع في خطية نتيجة لمهاجمة مباغتة من تجربة ما تأخذه على غرة لأنه لم يكن ساهرا ، حينئذ يتحرك في قلوبنا - أن كانت نبيلة - احساس بالعطف والشفقة . فنأخذ مكاننا بجانبه حينا ، ونعترف أننا تحت الظروف نفسها نقع كما وقع.

لكن ازاء شخصيات أخرى نحس بالكراهية والغضب ، لا سيما اذا كانت الأخطاء صادرة عن طمع ومكر ودهاء . ويعقوب هو من ذلك الطراز . وما يجعل أمره أكثر جسامة ه و أنه يمزج مطامعه بديانته . لقد كان فيه عنصر ايمان اصل جعله يمسك بوعد

الله ، ولكن كان معه هذا الشيء الآخر الذي جعله يطلب تحقيق الوعد بوسائل خسيسة حقيرة . رجل حقير ، يضرب به المثل ، ومع هذا فان الله يدعو نفسه اله يعقوب.

والآن تأمل في الله . كيف نتكلم عنه . هو القدوس البار ، الذي في قداسته يكره الخطية ، حتى أن الخطية هي الشيء الوحيد الذي - وهو المحبة الكاملة - يكرهها كرها كاملاً. ومع هذا فهذه الاقتباسات تربط الكمال المطلق بأحط شخصية لها تاريخ في الكتاب.

يعقوب ، الله القادر على كل شيء يأخذ مكانه بجانب نصاب ، ويقول للعالم اجمع ولا يداخل قوله اعتذار : «انا الهه»، «انا اله يعقوب».

لا اشك أن ابراهيم كان يخجل من هذا الحفيد. ومع أنه بشر فان نبله وسجاياه العالية تأبى أن تتسامح مع حقارة أعمال حفيده، حتى اننا نستطيع أن نجزم أن ابراهيم كان يقول بغير قليل من الخزي : « نعم انه حفيدي ». اجل ان الله القادر على كل شيء لا يستحي أن يقول : « أنا الهه . انا اله يعقوب »

والآن هذا هو السؤال : أيها المؤمنون ، أنتم الذين مثل يعقوب لكم ايمان حقيقي ، ومثل يعقوب لكم أخطاؤكم الفاحشة ، أتنظرون معي في هذا الصباح الى هذا الفكر عن اعلان يهوه القدوس الذي يمسك كل يعقوب في العالم ويعلن عنه انه الهه ، يقف بجواره ولا يطرده بل يقف بينه وبين الهلاك الذي يستحقه كل واحد منهم ، وبغيره ، بل يمجده ؟

(1) تأملوا أية دنيا واسعة من الأمل تنفتح لعالم مليء بالخطاة : انا الله يعقوب.

آه ! اذن ان البائس المقطوع الرجاء يستطيع أن يقول : هناك مكان في قلب الله لي .. والكلام ينطبق على وجه آخر ، فقد يقول أحدنا : اني اشكرك ليس على شيء يا مولاي فأنا لست يعقوب . لأن يعقوب دائما كان يدخل من النافذة بينما الباب كان مفتوحا على مصراعيه أمامه . وأنا لست هكذا مطلقا لأني أدخل من الباب لا من النافذة . حسنا فأنت جدير بالاحترام ، ولكنك يا صديقي اذا لم تكن «يعقوب» فانك نوع آخر من طبقة الخطاة . أنت وأنا في حاجة إلى الله الذي يتنازل للوقوف بجانب كل يعقوب . وفي هذا رجاء عظيم . آه ! يا ليت الخاطيء هنا يمسك بهذا ، ويتحقق أن هذا الإله الذي جميعنا أخطأنا ضده ، بل الجزء الأكبر من حياتنا الذي يتألف منه تاريخ كل واحد منا ، لا يسره ، يتنازل في شخص يسوع المسيح وعلى مرأى ومسمع من الملأ أجمع ويقول : أنا اله يعقوب .. الهك . دَمّي يكفر عن خطيتك ، وتُرسي يغطيك . فمن سيشتكي على مختاري الله . فترى التشجيع . اليس كذلك ؟ ان كنت محتاجا حقا إلى اله للخاطيء فهو موجود في اله يعقوب .لكن الصعوبة تبرز لنا من هنا ، في أننا نتملص من أن يكون لنا حكم. الموت في انفسنا حتى لا تتكل على ذواتنا . كم أود أن نرتقي درجة اعلى ونتمسك باله دانيال أو ابراهيم أو بولس ، ولكن ليس إله يعقوب ، أيها الأحباء ا انه إله يعقوب من نحن في حاجة اليه كخطاة الاله الذي ينصب السلم ليعقوب الخبيث الهارب من وجه العدالة ، ويريه رؤيا بيت ايل.

(2) ان هذه الطريقة التي يعامل بها الله الخطاة كثيرا ما تعث كثيرين ممن يتمسكون بالبر الذاتي ، الأنهم يريدوان الله اكثر احتراما.

أن الاعتراض الذي طالما وجهة الناس المتدينون المحترمون الى يسوع المسيح لما كان هنا على الأرض هو اختلاطه بالناس المزدرين والمحتقرين . «هذا الانسان يقبل خطاة ». كان هذا رديئا جدا ، ولكن الأردأ منه أنه يأكل معهم . وأني اتخيل ما كانت تلوكه السنة الفريسيين : « حقاً انه شخص شفوق وقد نغض الطرف عن تسامحه للتائبين ، ولكنه يتخطى حدود العطف المعقول و يا كل فعلا معهم. كانت هذه عثرة ، ويبدو بعض الأحيان أن الله لا يهتم بالأخلاق، اليس كذلك. ولكن الأمر ليس كذلك . نخطىء خطأ فاحشا اذا افتكرنا أن الله يدعو نفسه اله يعقوب او إله اي واحد منا حباً فينا او اعجابا بنا . كلا ، لأن الله لا يغير شعوره من جهة الخطية ، ولا يتساهل مطلقا مع الشر .

رأيت في فترينة مخزن في تورنتو صورة تحتها كلمة " الطبيب " كانت غاية في البساطة ، ولكنها حركت مشاعري. فكانت تصور مسكنا وضيعا داخله طفل مريض راقد على فراش من قش، وبجواره جلس الطبيب بوجه على قسماته علائم الجد والتفكير والذكاء ، بعينين مركزتين في الطفل باهتمام وشفقة . وقفت اتأمل في الصورة وقتا طويلا ودارت في مخيلتي الأفكار حتي ايقظت في مشاعر العطف، وأعجبت بالنبل الذي يلازم مهنة الطبيب، والشجاعة التي لا تقل عن الفروسية في نظري، والحكمة التي وهبتها السماء لهذا النطامي البارع في مداواة على الجسم وكيف أنه كان مهتما بهذا الطفل المسكين المريض، لم يكن في ذلك الكون شيئا يكافيء هذا الطبيب ، لا مال ولا راحة . ولكن الذي يتأمل وجهه كان يرى بحروف بارزة الاهتمام بحالة ذلك الطفل وآلامه، فقد كان الألم ينبض من كل عرق في ذلك الطفل، فيجد صدى في عطف الطبيب بكل ما فيه من موارد البراعه والذكاء والعلم ليضعها جميعا لخدمة لتلك الكومة الصغيرة من البؤس.

ثم سرح فكري إلى الله ، الى اله يعقوب . هل هذا الطبيب أو اي طبيب آخر يتساهل مع الألم الناتج من المرض في أي واحد من البشر ؟ هل يستخف به ويتركه ؟ كلا ، فانه يكره المرض ومهمته أن يحاربه ويعيد للجسم صحته . وكم يفرح حينما ينتصر على المرض ويصده لأن مجد نطسه في هذا الأمر بالذات.

يا أعزائي ، حينما أرى الله ينزل بجانب محتال مثل يعقوب ويقول للعالم أجمع : انفضوا أيديكم . هذا هو رجلى. أنا إلهه . أعلم أن الخطأ في هذا الرجل هو الذي حرك قلب الله وأتي به اليه . فهو لا يحتمل أن يكون بعيدا عنه ، لأنه في مسيس الحاجة اليه ، مع أنه محتال . أن المحبة الإلهية هي التي تأتي بالمعونة اليه . وهو يقول أمام كل الفريسيين : نعم ، أنا الهه.

لنتمسك بهذا الحق : أن آثامنا ، هي مرضنا الأبدي ، هو الذي جعل إله يعقوب ينزل إلينا للخلاص بدم الصليب أولاً ، ثم لعلاجنا بمعونته ثانيا.

هل تعلم أن الطبيب يهتم بالمرضي أكثر من الأصحاء ؟ فمثلا طبيبي ، وهو أخي في هذه المدينة ، أقابله كثيرا وأنا في صحتي ، وما أن أقابله مرة حتى يقابلني بشوق الأخ ، ولكن اذا اعتلت صحتي مرة سرعان ما يخف الى ويجلس بجوار سريري وعوامل الاهتمام تظهر عليه . ولا أريد أن أقول أنه يحبني اذ ذاك أكثر لأني وانا مريض يهتم بحالتي اكثر مما لو كنت سليما . فلا غرابة أذن حينما نسمع يسوع : « لم آت لأدعوا ابراراً بل خطاة إلى التوبة ». وكانت طريقته المألوفة أن يخاطب الناس قائلا : « قفوا جانبا أيها الأبرار ، يا من لا تشعرون بحاجة إلى ، ودعوني أذهب الى كل يعقوب وراحاب وبطرس وبولس وكل من هو محتاج الى ». هذا هو اله يعقوب

(٣) الآن يمكننا أن نعرف معنى قول داود : طوبى لمن اله يعقوب معينه .

لأنه لا يوجد في الكتاب أدعى للاهتمام من معاملة الله مع يعقوب ابنه بالايمان بعد رده اليه ورجوعه . خذوا كتبكم وفتشوها وتتبعوا في كل الأسفار ، وليكن ماثلا أمامكم هذا الفكر أنه في كل معاملات الله معه كان يعالجه، وانه يربط ذاته به لأنه أمسك به بالأيمان ، حتى وإن كان إيمانا ضعيفا . فترى أن هذه المعاملة واقعة في ثلاثة أجزاء : الأول يُعلِم الله يعقوب هذا الدرس بالاختبار المرير.

إن ما يزرعه الانسان اياه يحصد. يفكر في الضيق الذي وقع فيه، بعد سنين عديدة حينما تصالح مع الله قال في حضرة ملك وثني (أيام سني حياتي قليلة وردية). لقد علم الله هذا الرجل المفكر الحصيف أن حياته لا تزيده الا توغلا في الحزن ، وعليه أن يشرب الكأس التي مزجتها يداه . نحيلة تجر عليه الوبال ، وحيلة اخرى تغطسه حتى يتدخل الله في الأمر. لقد كان العلاج متوفرا فأمره الله بالرجوع الى بيت ايل ، وحينذاك مس قلبه بخلاص عظم فاشتبك الطرفان في صراع نهائي والإنسان في ضعفه واستمساكه بالله يقول : لا اطلقك إن لم تباركني ، فيسمع هذه الكلمات الفياضة بالمعاني العميقة :«لا يدعي اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله وقدرت».

بعدئذ ترى من كان محتالا قد غدا «بطريركا»، رئيس آباء ، متصالحا مع الله ، واقفا أمام رمسيس العظيم ليباركه .

يا اصدقائي ، أن الكتاب بهذه الفكرة يضحى مصحة . فكل مرض وضعف له دواء وعلاج . تطلعوا الى معاملات الله مع ايوب المختال بثوب بره الذاتي وقد محصته التجارب ، يأتي الى المكان الذي هو الآخر يقول فيه : «الآن أرفض واندم في التراب»

أيضا احب أن اتامل في معاملة الله مع بطرس المتسرع الأهوج القاسي الرأس الملأن من الاعتداد بالذات . هل تتذكر اول حديث للمسيح معه : «انت سمعان بن يونا سيدعى اسمك صفا الذي معناه الصخرة ». اني امسكك الآن قطعة من اللحم ، مزيجا من الجيد والرديء ، ولكن متى اتممت فيكى عملى يا بطرس ساجعل منك رجلا صخريا وليس مجرد كتلة لحم .

وهكذا يتسلم بولس نمر السنهدريم المتعطش الى دم المسيحيين فيجعل منه كاتب الإصحاح الثالث عشر من كورنثوس الأولى ، دستور المحبة . كلا يا اصدقائي الأعزاء، أن الله لا يستحسن العوائد الرديئة في أولاده ولا يوافق على الخطية.

(4) لابد أن تفوتنا فوائد كثيرة من هذا الحق المتضمن فى إله يعقوب. اذا لم نلم بأطراف الموضوع .

فقد كان عيسو ذا امتياز في الدعوه ولكن الله لم يُدَع قط «اله عيسو». ولم لا يكون « اله عيسو»، وعيسو اذا حللنا صفاته وجدناه رجلا يتميز عن يعقوب بالنبل والشفقة ؟ فلماذا لا يقال «إله عيسو» بل «إله يعقوب »؟ الأن عيسو احتقر بكوريته. لقد فضل اللذة العابرة على الشيء الباقي، لأنه كان بعيد المنال نوعا ما ، ولذلك لأجل اكلة واحدة من العدس باع بكوريته . أما يعقوب فمع أنه كان وضيعا فقد اعتقد في قيمة البكورية وفي إله البكورية فاشتراها.

وأوضع الرجلين ، بل احقرهما ، مارس الإيمان في الوعد ، ومع أنه كان محتجبا وراء ستار من غيوم العجز الذاتي فان اليقين لم يفارقه . ويعقوب ، المتعقب المحتال ، كما يدعي ، وثق وآمن ، أما عيسو الرجل الأفضل شك ولم يؤمن . فكيف الحال معك ؟ هل لك إله يعقوب الذي يأخذ الخطاة كما هم ويخلصهم اينما كانوا ويغير كل يعقوب إلى اسرائيل ؟ هل إله يعقوب الذي يغير الأخلاق ويشكلها إخيرا إلى الانسان الكامل هو الهك ؟ ان كان فاني أهنئك واغبط نفسي أنا المخلوق المسكين أن إله يعقوب هو الهى : واذا لم يكن إلهك ألا اتأخذه بنفس الشروط التي سلك فيها يعقوب ؟ الا تأخذه بالايمان !

عظة منقولة وتم تنقيحها وتعديلها

أرجوا أن تكون هذه العظة سبب بركة وخلاص لك وللآخرين

صفوت زكي سمعان